تاريخ الفلسفة
نيتشه ومقدمة في الفينومينولوجيا 69
بقلم الدكتور آرثر هولمز من كلية ويتون

أتذكرون عندما كنتُ أؤكد على نظرته الإرادية للطبيعة البشرية في المرة الماضية؟ يتجلى تأثير أمثال شوبنهاور بوضوح في نقاشه حول أصحاب الإرادة القوية والضعيفة، والديونيسيين والأبولونيين، ورؤيته بأن جميع قيمنا تعود في نهاية المطاف إلى إرادة القوة التي تسري في كل شيء .لذا فإن قيمنا غير الأنانية ليست سوى انتقام موجه نحو ذواتنا، وهكذا دواليك.

ثم نتحدث أيضًا عن نزعته الطبيعية لأنه يجد أساسًا بيولوجيًا لكل هذا .أساس بيولوجي بمعنى أنه بينما يفكر كعالم طبيعة تطوري، فإن نظريته التطورية لا تقوم على الانتقاء الطبيعي الداروينيِ .فهذا الأخير عملية تدريجية للغاية، ولن ينتج عنها سوى أفراد ضعفاء الإرادة يتكيفون مع البيئة بدلًا من التغلب عليها.

إن بيولوجيته أقرب إلى الحيوية البيولوجية، أي أن الحياة قوة إبداعية تسري في كل أشكال الوجود العضوي. وهذا يُشابه، إلى حد ما، ما قرأته عن بيرجسون في فصل وايتهيد وبيرجسون، الذي يرى في الطبيعة جانبًا ثابتًا وآخر ديناميكيًا أو إبداعيًا، يتجلى في نوعين مختلفين من الفكر الإنساني.

التحليلي والإبداعي والحدسي .لا تكتب عن جانبي الدماغ، فهذا ليس نوع علم الأحياء الذي يتحدثون عنه .بل عن الحيوية البيولوجية.

من الواضح أن هذه النزعة الحيوية البيولوجية، إلى جانب النزعة الإرادية، ستؤثر على كل ما يقوله عن المعرفة والفكر البشريين، وعلى نظرية المعرفة .وللتعمق في هذا الجانب تحديدًا، والذي أظن أنه الجزء الأكثر تأثيرًا في فكر نيتشه اليوم، لأنه يغذي ما بعد الحداثة، هل يمكنك فتح المختارات على الصفحة 323؟ 323. وستجد الفقرة الأولى محيرة، مع أنني أبحث عن الفقرة الثانية.

ستساعدك الفقرة الأولى على فهم التسلسل المنطقي للأحداث .تقول الفقرة هنا إنه بعد وفاة بوذا، ظل الناس يعرضون ظله لقرون في كهف، ظل هائل ومخيف .صحيح أن الإله قد مات، ولكن بما أن الجنس البشري يتكون، فربما ستظل هناك كهوف لآلاف السنين يعرض فيها الناس ظله.

وما زال علينا أن نتجاوز ظله .هذه طريقته الساخرة، كما ترى، ليقول، كما يفعل في سياقات أخرى، إن الإله قد مات، ولكن عليك أن تصبح أنت معنى الأرض .عليك أن تكون إلهه، كما ترى.

،حسناً، يقول 109، الموجود في الصفحة 323، ما الذي يجب على هذا الإنسان الخارق الجديد أن يحذر منه إن كان هذا سيحدث .فلنحذر من الاعتقاد بأن العالم كائن حي .يثير هذا الأمر تساؤلات كثيرة، ويقول إنه يثير اشمئزازي.

ثم، بعد ثمانية أسطر، فلنحذر من الاعتقاد بأن الكون آلة .من المؤكد أنه لم يُبنَ لغاية واحدة .إننا نُضفي عليه هالةً من التقدير المبالغ فيه حين نصفه بالآلة.

فلنحذر من افتراض أن أي شيء منهجي كالحركات الدورية للنجوم المجاورة ينطبق عمومًا على الكون بأسره. وخلاصة القول، إن الطبيعة العامة للعالم، من جهة أخرى، هي الفوضى الأبدية .ليس لغياب الضرورة، بل لغياب النظام والبنية والشكل والجمال والحكمة، أو أيًا كان ما يُطلق على علومنا الإنسانية الجمالية.

ثم في الصفحة 324، في منتصف الفقرة الأولى تقريباً، فلنحذر من القول بوجود قوانين للطبيعة .إنما هي مجرد ضرورات .لا أحد يأمر أو يطيع أو يخالف.

عندما تعلم أنه لا وجود للتصميم، تعلم أيضاً أنه لا وجود للصدفة .ففي عالم التصميم وحده يكون للصدفة معنى .فلنحذر من القول بأن الموت نقيض الحياة.

الكائن الحي ليس إلا نوعًا من الكائنات الميتة، نوعًا نادرًا جدًا .نعم، إن أصحاب الإرادة الضعيفة ليسوا إلا موتًا حيًا .فلنحذر من الاعتقاد بأن العالم يخلق الجديد باستمرار.

لا توجد مواد خالدة .المادة ليست سوى خطأ آخر .هذا هو إله الإيليين.

والآن، إذا عدتَ إلى ما سبق، ستلاحظ أنه يقوم، وأنا أستخدم هذه الكلمة عن قصد، بتفكيك كل نظرية معروفة عن الكون .أترى ؟ ها هي محاولاته لتقديم تفسير منطقي، لكن لا شيء منها يُجدي نفعًا .ويبدو أن هذه هي فكرته.

أترى ؟ لذا يمكنك أن تقول ببساطة، فلنكن حذرين من التفكير .انتهى .أترى ؟ وأظن أن هذه هي فكرته الرئيسية.

لنكن حذرين من التفكير .وإذا انتقلت لاحقًا إلى 340 ...الآن، ارجع ثلاث خطوات للوراء ...دعنا نرى، دعنا نرى، دعنا نرى، ما هو الرقم الذي كنت أبحث عنه؟ كان 323، أليس كذلك؟ 333، أعتقد أنه الرقم الذي أبحث عنه .لا، 326 أولًا، عفوًا، 326.

القسم ١١١ .حول أصل المنطق، من أين نشأ المنطق في عقول البشر؟ بلا شك من رحم اللاعقلانية .نعم، هناك دافع إبداعي لا يمكن التنبؤ به، وغير عقلاني ، وما إلى ذلك.

لا بد أن هذا المجال كان شاسعًا في الأصل .وفي أسفل الصفحة، ما كان لأي كائن حي أن يبقى لولا الميل المعاكس إلى التأكيد بدلًا من التريث، وإلى الخطأ بدلًا من الانتظار، وإلى الموافقة بدلًا من الإنكار، وإلى الانحياز بدلًا من أن يكون على حق، لولا أن هذا الميل قد تم تنميته باجتهاد استثنائي .إن مسار التفكير المنطقي والاستدلال في أدمغتنا الحديثة يُقابل عملية صراع بين دوافع، كل منها في حد ذاته غير منطقي وظالم.

لا نختبر عادةً إلا نتيجة الصراع .تعمل هذه الآلية البدائية فينا الآن بسرعة وخفية .تذكرون أن علماء مثل هوبز وسبينوزا، من أنصار الحتمية، كانوا يعتقدون أن عملية التفكير غالباً ما تكون مجرد تعاقب لمشاعر ودوافع متبادلة.

والآن، ها هو ذا الأمر في الطبيعة، مع اختلافٍ جوهري، فبدلاً من أن يكون أحدهما أثقل من الآخر، وبالتالي يُتخذ القرار على هذا النحو، هنا نجد قوةً إبداعيةً اعتباطيةً تُرجّح أحدهما على الآخر .وعليه، فإن مسألة العقلانية برمتها هي في نهاية المطاف عمليةٌ غير منطقية، لا أساس لها .ثم في الفقرة الرابعة من المادة 333، لا يُعدّ خطأ الرأي اعتراضاً لدينا .

لعلّ هذا هو ما يجعل لغتنا الجديدة تبدو غريبةً للغاية .السؤال هو :إلى أيّ مدى يُسهم الرأي في تعزيز الحياة، والحفاظ عليها، والحفاظ على النوع، وربما حتى تنشئته؟ ونحن نميل بطبيعتنا إلى تبني أكثر الآراء زيفًا، وإلى الاعتقاد بأنّ أكثرها زيفًا هي الأكثر ضرورةً لنا، وأنّ الإنسان لا يستطيع العيش دون الاعتراف بالأوهام المنطقية، ودون مقارنة الواقع بالعالم المتخيّل، ودون تزييف العالم باستمرار .إنّ التخلي عن الآراء الزائفة هو بمثابة التخلي عن الحياة، بل هو إنكارٌ لها.

إنّ الاعتراف بالكذب كحالة من حالات الحياة، هو فلسفةٌ تُغامر بفعل ذلك، فتضع نفسها بذلك فوق الخير والشر .وبالتالي، فإنّ البحث عن الحقيقة ليس هو القضية .ليس هذا هو المغزى.

لا يمثل وجوده سوى وسيلة نفعية بحتة للنظريات والمعتقدات التي نبتكرها .فنحن نخلقها لأغراضنا الخاصة، تعبيراً عن إرادة القوة .ولذا، ستجد في الصفحة التالية، الصفحة 344، بعضاً من سخريته المعهودة الموجهة إلى بعض الشخصيات المفضلة لديك.

،لذا، بعد ستة أسطر في الصفحة 344، يتحدث عن مشهد نفاق كانط القديم، المتسم بالصرامة والوقار والذي يغرينا به إلى المسارات الجدلية التي تقود إلى أمره المطلق .يجعلنا هذا الأمر شديدي التدقيق في ابتسامة المرء، نحن الذين نجد متعة كبيرة في كشف الحيل الدقيقة للمفكرين الأخلاقيين والوعاظ القدامى. ثم يقول، أو بالأحرى، يقول عن الخدعة الرياضية، التي استخدمها سبينوزا، كما لو كان، ليُلبس فلسفته درعًا وقناعًا.

أتعلم، وكيف يمكنك مهاجمة سبينوزا بمنطقه الجامد؟ إنه يأخذ هذا المنظور للمعرفة الإنسانية، لمزاعم الحقيقة، ويطبقه على عصر التنوير في القرن الثامن عشر، تطبيقًا كاملًا .وأخيرًا، في الصفحة 366، حيث يتحدث عن المعرفة الأخلاقية، تجد هذه الفقرة" :مطلبي من الفيلسوف هو أن يتخذ موقفًا يتجاوز الخير والشر".

هذا عنوان أحد كتب نيتشه التي اقتُبس منها هذا الكلام .يتجاوز الخير والشر، ويترك وهم الحكم الأخلاقي تحته .الحكم الأخلاقي وهم.

ينبع هذا المطلب من فكرة كنتُ أول من صاغها .إنه لا يخشى الأنانية، كما ترى .أي رفض للأنانية سيكون ببساطة هجوماً على نفسه .

ضع ذلك في اعتبارك .إنه أنانيٌّ للغاية .لكن أول ما يتبادر إلى الذهن هو أنه لا توجد حقائق أخلاقية.

تتفق الأحكام الأخلاقية مع الأحكام الدينية في الإيمان بوقائع ليست وقائع حقيقية .فالأخلاق ليست سوى تفسير لظواهر معينة، أو بالأحرى، سوء فهم لها .والأحكام الأخلاقية، كالأحكام الدينية، تنتمي إلى مرحلة من الجهل حيث لا يزال مفهوم الواقع والتمييز بين الواقع والخيال غائبين.

وهكذا، فإن الحقيقة، في هذه المرحلة، تشمل كل أنواع الأشياء التي نسميها اليوم تخيلات .لذلك، لا ينبغي أبدًا أخذ الأحكام الأخلاقية حرفيًا، فهي دائمًا ما تنطوي على محض هراء.

من الناحية السيميائية، تظل هذه الرموز لا تقدر بثمن .أي أنها، من الناحية السيميائية، تُعدّ دلالة على شيء ما .فهي تكشف، على الأقل لمن يعرفون، أثمن حقائق الثقافات وجوانبها الداخلية التي لم تكن تملك المعرفة الكافية لفهم ذاتها.

لذا نعتقد أن قيمنا حقيقية موضوعيًا بطريقة ما .أما من يفهم، فيدرك أنها مجرد لغة التمني، مجرد أعراض .لا بد من معرفة جوهرها للاستفادة منها.

،حسنًا، إذًا لا وجود لشيء اسمه الحقيقة، ولا صفات أخلاقية موضوعية، ولا أساس واقعي للمعرفة الأخلاقية ولا أساس لأي نوع من المعرفة .الآن، أترون لماذا أكتب على السبورة نيتشه، والأقواس، وما بعد الحداثة؟ لأنني أظن أن نيتشه هو القوة الأكثر تأثيرًا في ما بعد الحداثة الراديكالية في عصرنا .بمعنى آخر، ما بعد الحداثة

التي انحرفت عن مناهج معرفية أكثر تواضعًا لا تزال تسعى إلى ادعاءات الحقيقة، ولكن بشكل أكثر تواضعًا؛ أما ما بعد الحداثة الراديكالية اليوم فقد انحرفت عن ذلك، عن الحديث عن الحقيقة برمتها، إلى سياسة القوة .في جوهرها، كما ترون

وتسييس الجامعة، الذي نقرأ عنه في الصحافة هذه الأيام، ليس إلا تجسيدًا لإرادة القوة النيتشوية لدى بعض جماعات المصالح، التي تُقلب الجامعة رأسًا على عقب لفرض هذا النوع من المصالح .وهكذا نخلق حقيقتنا .الخاصة بفضل المنفعة التي نفرضها على معارضيها .التسييس

حسنًا، هل هذا واضح؟ هل فهمت وجهة نظره؟ بل يجب أن أقول وجهة نظره، نيتشه .حسنًا .يقول الشيء .نفسه في مواضع أخرى

دعنا نرى .أجل، إليك واحدة .وراء المنطق تكمن أحكام القيمة، أو بعبارة أوضح، المتطلبات الفسيولوجية .للحفاظ على نوع معين من الحياة

تثبته حججك هو سبب اعتقادك بضرورة القيام بذلك أصلاً .وهو يتحدث عن الوضعية، بما تحويه من بيانات تجريبية موضوعية، باعتبارها تمجيداً ديمقراطياً للعقل الحر .ديمقراطية لأن أي شخص يستطيع .الحصول على بيانات تجريبية

كما ترى .والشك صفة فسيولوجية غامضة تُعرف في اللغة الدارجة بالضعف العصبي، وهو مرض يفتقر إلى .الحسم

يفتقر إلى الإرادة للوصول إلى الحقيقة .كما ترى، إذا لم تكن لديك الإرادة القوية لتأكيد صحة شيء ما، فأنت .ضعيف الإرادة

ضعف عصبي .هذا أمرٌ مُقزز .حسنًا، وإذا سألت نيتشه ، هل كل ما تقوله صحيح؟ أتذكر أنني سألته هذا السؤال في إحدى دورات الدراسات العليا، فأجابني الأستاذ " :آه ، نيتشه سيضحك من أعماق قلبه على هذا ".السؤال

وفي الواقع، وجدتُ في أحد كتبه أنه يقول إن المرء لا يُجازي معلمه إلا جزاءً سيئاً إن بقي مجرد تلميذ .أدعوكم أن تبتعدوا عني وتجدوا أنفسكم، ولن أعود إليكم إلا بعد أن تنكروني .هل فهمتم المغزى؟ الشيء الوحيد الذي .أراد نيتشه التأكيد عليه هو أن لا شيء حقيقي

ولا حتى ما أقوله لك .ولا حتى ذلك .الآن، كما تعلم، يطرح هذا بوضوح معضلة الكاذب القديمة من العصور .القديمة عندما قال أحد الكريتيين :كل الكريتيين كاذبون

الآن، إذا قال لك كريتي إن جميع الكريتيين كاذبون، فهل هو صادق؟ إن كان صادقاً، فهو يكذب .إذا كان .جميع الكريتيين كاذبين، فهو كاذب .أما إذا كان يكذب، فهو لا يقول الحقيقة بأن جميع الكريتيين كاذبون

وليس صحيحاً أن الكريتيين كاذبون .كما ترى، أنت أمام هذه المعضلة .حسناً، بالمثل يا نيتشه، أنت لا تفهم .ما يقصده

يتجاوز الأمر مجرد رفض السعي وراء أي نوع من المعرفة .الحقيقة .وهو يؤكد على ذلك بشكل خاص عندما .يتعلق الأمر بالأخلاق والدين

أعتقد أن هذا صحيح تمامًا .حسنًا، قلتُ إنه يُفكك نظرياتٍ مختلفة حول الكون، لأن التفكيكية، بطبيعة .الحال، هي ما بعد الحداثة في التفسير الأدبي

.تفسير أي شيء .حسناً .هل تريد التعليق على نيتشه؟ كيركغارد؟ نعم

.نعم .نعم .أجل

تذكر أن هذه هي الفكرة الأساسية لنيتشه، ولا تسألني إن كان يعتقد بصحتها .هو على الأقل يعتقد أنها .مفيدة .سترى بنفسك

.تتمحور أطروحته الأساسية حول إرادة القوة، وهي ذات جذور بيولوجية .إنها أطروحة مفيدة

في هذه الحالة، ما يحرك عملية التطور ليس الرغبة في التوافق، ولا الرغبة في الانسجام وحل جميع مشاكل .التكيف .بل ما يحركها، إن صح التعبير، هو غريزة البقاء

سنتغلب على ذلك .ليس الأمر متعلقاً بالداروينية، بل بالتطور الحيوي، أو ما يسميه برجسون بالتطور .الإبداعي

انفجارات مفاجئة من الابتكار لا يمكن التنبؤ بها من حيث جميع الآليات .حسنًا .كانت تلك الحيوية .البيولوجية شائعة طوال القرن التاسع عشر حتى حوالي عام 1940 أو 1950

إن التطور التدريجي للكيمياء الحيوية والاعتراف بنموذج واتسون-كريك، وما إلى ذلك، فيما يتعلق بالحمض النووي وما شابه، يُعدّ من قبيل النزعة الحيوية القديمة، كما سترى، لدرجة أننا لم نعد ننظر إلى الحياة كقوة إبداعية مستقلة عن العناصر المادية التي تعمل عليها، بل كوظيفة لبعض المركبات الكيميائية الحيوية .شديدة التعقيد

وجهة نظر مختلفة .إذن، لم تعد النزعة الحيوية تحظى بشعبية كبيرة الآن .يا له من تحيز عاطفي في !أخلاقياته

أجل، كان عليّ أن أرفق الرابط .أما بخصوص النقطة الأخيرة، فلا توجد حقائق أخلاقية مطلقة .بمعنى آخر، لا .توجد حقيقة مطلقة بشأن الصواب والخطأ

الفضيلة والرذيلة .لا توجد حقائق أخلاقية موضوعية يمكن معرفتها على الإطلاق .حسنًا، ما هي الأحكام . الأخلاقية إذًا؟ إنها تعبيرات عن العاطفة، أو عن إرادة القوة، أو عن ضعف الإرادة ، بحسب الحالة

ماذا نفعل عندما نؤيد شيئًا ما أو نرفضه؟ إننا نعبر عن مشاعرنا تجاهه .ومن هنا ينشأ هذا التفسير العاطفي للأخلاق، والذي يوازيه، بالطبع ، المذهب الوضعي، كما سنرى في التراث الأنجلو-أمريكي .إنها ليست مجرد .أخلاق ذاتية

الذاتية الأخلاقية هي الرأي القائل بأنه عندما أقول إن شيئًا ما صحيح أو خاطئ، فأنا أتحدث عن مواقفي .الذاتية .كلا، بالنسبة لنيتشه، أنت لا تتحدث عن مواقفك، بل تُعبّر عنها وتُوظّفها

.هذا شيء مختلف .حسناً .أجل

.رورتي .لا .نعم، يستند رورتي إلى عدد من المصادر، ومنها نيتشه

.ديوي مثال آخر .فيتجنشتاين مثال آخر .لذا فهناك مزيج متنوع من الأشياء

.هل يرى رورتي أن نيتشه يدّعي الحقيقة المطلقة؟ لا أعتقد ذلك، لكنني أودّ مراجعة رورتي في هذا الشأن يبدو أنه يعتبرها تعديلاً طبيعياً لفكرته .حسناً، الآن أفترض أن الأفلاطونية المعكوسة تعني أن النظرية في .الأسفل، أو بالأحرى، أن الأيديولوجيا في الأسفل

هل هذا كل شيء؟ والادعاءات الواقعية موجودة هنا .لذا، بهذا المعنى، فإن الادعاءات الواقعية التي نقدمها مدفوعة بأيديولوجياتنا .حسنًا، كما ترى، أعتقد أن هذا سيكون نوعًا ما نيتشويًا إذا كنت على استعداد للقول .بأن الأيديولوجيات هي في الأساس تعبيرات عن إرادة القوة

العاطفة بهذا المعنى .أجل، وربما يكون ذلك مفيدًا لأنه يساعدك على إدراك وجود أوجه تشابه بين نيتشه .وفرويد وماركس .هل فهمت ذلك؟ أنت تعرف هذا القدر عن نيتشه

هل تعلم أن فرويد يتحدث عن اللاوعي، الذي يفرض نفسه بطرق شتى في تفكيرنا وسلوكنا؟ هذا هو دور .عقدة أوديب عند فرويد

كتابه "موسى والتوحيد"، الذي يرى فيه الإيمان بالله إسقاطًا لعقدة أوديب .أترى ؟ أي أن البنية التحتية هنا هي الحياة العاطفية لفرويد .أما ماركس، فنعم، هناك البنية التحتية هي الظروف المادية للوجود والاغتراب .الذي تُولّده

وبسبب ظروف الاغتراب، عن العمل، وعن الذات، وما إلى ذلك، تجد، إن شئت، بنيةً غير عقلانيةٍ تُبنى عليها النظريات التي تُطورها والهياكل الاجتماعية التي تُشيدها .أترى ؟ وإذا قرأت البيان الشيوعي، ستجد تأكيدًا على أن جميع معاييرنا الأخلاقية ليست سوى تعبيرات عن الصراع الطبقي .إذن، تجد هذا النوع من الأمور في هذه .العناصر الثلاثة

،واسم ماكس فيبر، عالم الاجتماع، جدير بالذكر هنا أيضاً .فبينما يتحدث فيبر كثيراً عن القيم، تبدو نسبية وكأنها انعكاس للأيديولوجيات .أترى ؟ صحيح أنك أشرت إلى الملوك، لكن الكاتب آلان بلوم تناول هذا .الموضوع ببراعة

أحاول أن أتذكر عنوان كتاب بلوم، "انغلاق العقل الأمريكي ."كم منكم قرأه؟ أظن أنكم قرأتموه، باستثناء الجزء الأوسط الذي يتناول فيه هؤلاء الأشخاص .على الأقل، معظم من أتحدث إليهم ممن قرأوا لبلوم لم .يقرأوا هذا الجزء، وهو ذو طابع فلسفي عميق

ربما فعلت ذلك .آمل ذلك .لكن بلوم يبدأ ذلك الكتاب بالشكوى من أن طالب الجامعة المعاصر يتحدث كما .لو أنه لا يوجد شيء اسمه الحقيقة والزيف، أو الصواب والخطأ

هل سمعت هذا من قبل؟ حسنًا، لقد سمعته اليوم .لقد فقد أي إحساس بهويته الشخصية، ولم يعد لديه .أي رؤية للعالم يستند إليها في أي من تلك الأمور .هذه هي شكواه الآن

آلان بلوم أستاذ في النظرية الاجتماعية بجامعة شيكاغو .حسناً، ما يفعله هو ربط هذا الوضع بهؤلاء المفكرين الأوروبيين، الذين يعتبرهم مصدر المشكلة .أعتقد أن رد فعلي على ذلك، وقد كتبت مقالاً للرد .عليه، هو أن هذه ليست القصة كاملة

أعتقد أن التأثير، على الأقل في العالم الناطق بالإنجليزية، يعود في معظمه إلى المدرسة الوضعية، التي تؤكد أن لدينا، أو بالأحرى المدرسة البراغماتية، نظرة نفعية فقط للحقيقة والمعنى .فالمدرسة الوضعية ترى أن جميع القيم ليست سوى تعبيرات عن المشاعر.

أنت ترى كل ذلك .إذن، هناك عقدة نفسية أدت إلى ذلك في المجتمع .أعتقد أن أحد أوجه الاختلاف بين العائلة المالكة وبلوم هو أنه يستقي التأثيرات الأنجلو-أمريكية بالإضافة إلى التأثيرات الأوروبية.

لكن هذا جزء من ما بعد الحداثة المعاصرة .حسناً .إن تأثير نيتشه الفلسفي، فكروا في نيتشه حوالي عام 1900، فقد استمر تأثيره الفلسفي بالتأكيد حتى النصف الأول من هذا القرن.

من بين الذين يتبنون أفكاره كارل ياسبرز .ومعظم الكتابات عن الوجودية تتحدث عن ياسبرز، مع أنني أعتقد أن تأثيره قد تضاءل كثيراً الآن .لكنه كان بارزاً جداً في النصف الأول من القرن .

لم يكن ياسبرز راضيًا عما كان يفعله نيتشه .فقد بدا له أن أشخاصًا مثل كيركغارد ونيتشه قد وضعوا فجوة كبيرة جدًا بين الذاتية الإنسانية ، أي تلك الأبعاد العميقة للحياة الداخلية التي يتحدث عنها نيتشه، وبين كيركغارد .فجوة كبيرة جدًا بين تلك الأبعاد الداخلية وما يسميه الوجود التجريبي ، الذي نملكه ككائنات في هذا العالم.

إذا جاز التعبير، فهناك فجوة كبيرة بين العلمي والوجودي .ولذا، فإن ما يفعله ياسبرز في كتابه "العقل والوجود"، حيث يعتبر الوجود وسيلةً للأصالة الوجودية، هو الإشارة إلى أنه لا ينبغي أن يكون الأمر خيارًا بين أمرين، بل يجب أن يكون الجمع بينهما .وهو يميز ثلاثة أبعاد للوجود الإنساني.

هناك وجودنا التجريبي، ما يسميه "الدازاين"، أي الوجود الحرفي، الوجود مجرد شيء آخر، كيان آخر .وهناك الوعي في حد ذاته؛ وهو هنا يفكر في تأكيد كانط على الأنا المتعالية، وديكارت، "أنا أفكر، أنا موجود"؛ هناك تلك الحياة العقلية الداخلية .ثم، إضافة إلى ذلك، هناك الروح، مصطلح "الروح "بالمعنى الأوروبي الذي تعرفنا عليه عند هيغل، والذي يرتبط بالإبداع الثقافي.

أكد المثاليون على البعد الثالث، بينما ركز عصر التنوير على الثاني، وأكد العلم التجريبي على الثالث .ويرى كارل ياسبرز أن الوجود الإنساني الأصيل لا يتحقق إلا بتكامل هذه الأبعاد الثلاثة بشكل مناسب، واحتضانها "بفضل أساس وجودي ندركه .ويستخدم مصطلح "أساس وجودي شامل "أو "الوجود الشامل (umgraiffende).

وما يتحدث عنه ياسبرز إذن هو تجاوز نوع الوجود غير الشخصي، وغير الأصيل، والتجريبي .تجاوز مفهوم التنوير عن كون المرء كائناً واعياً وعقلانياً .بل تجاوز حتى حياة الثقافة، ألا تلاحظون النزعة الكيركغاردية في هذا؟ مراحل في مسيرة الحياة؟ تجاوز كل ذلك في فعل إيمان يكاد يبدو وكأنه عمل ديني.

أما هوية ذلك الكائن المتعالي، الكائن الشامل، وطبيعته، فهي شيء لا نتحدث عنه إلا بالرموز والشفرات .لا نستطيع تصوره .وكأن في فينومينولوجيا العقل عند هيغل، فإن ثلاثية الفن والدين والفلسفة تسمح بوجود رموز فنية، ورموز دينية، لكن لا يوجد توليف بينهما.

بمعنى آخر، لا يمكنك امتلاك التصور الفلسفي .ولذا، فإن ما ينطوي عليه الأمر هو موقف وجودي، وليس إدراكًا معرفيًا، في فعل الإيمان .حسنًا، كارل ياسبرز، شخصية مثيرة للاهتمام.

كانت زوجته يهودية ، وعندما حررها الحلفاء خلال غزو ألمانيا، لا أذكر في أي مدينة، اكتُشف أن جاسبر وزوجته كانا مُدرجين على قائمة الترحيل إلى معسكر الإبادة في الأسبوع التالي .وهكذا نجا بهذه الطريقة حسناً، نيتشه.

وأعتقد أن ياسبرز يقدم نقداً جيداً لنيتشه .ما يسميه ياسبرز ليس سوى جانب محدود من اهتمامات الإنسان، ألا وهو إبداع الروح الإنسانية، ذلك البعد الثالث الذي ينفرد به.

ما أود فعله الآن هو الانتقال إلى موضوعنا التالي ضمن هذا السياق الوجودي، ألا وهو محاولة تعريف الظاهراتية في القرن العشرين .ونحن ندرك أن المصطلح والمنهج متجذران في فكر هيغل، هذا صحيح.

لكنّ الفينومينولوجيا في القرن العشرين أكثر تطوراً وتعقيداً بكثير .وأعتقد أنه حتى لو اقتصر حديثنا على الوجودية، فلا بدّ لنا من فهم الفينومينولوجيا .تاريخها يسير على هذا النحو تقريباً.

أن تجد كيركغارد ونيتشه في المرحلة الأولى من الوجودية كرد فعل على عصر التنوير .حسناً، كيركغارد ونيتشه .وتلاحظ أن أعمالهما وصفية بالفعل.

إنها أقرب إلى علم نفس تأملي لاكتشاف الذات أو ما شابه ذلك .لا توجد فيها منهجية فلسفية صارمة .ولكن مع دخولنا القرن العشرين، نجد أن تأثير كيركغارد ونيتشه قد امتزج بالمنهج الظاهراتي الأكثر دقة الذي كان يتطور انطلاقاً من الجذور الهيغلية الأصلية.

منهجٌ ظاهراتيٌّ ننسبه عادةً، في صورته الأكثر دقة، إلى الفيلسوف الألماني إدموند هوسرل .مع أنه كان موجودًا أيضًا قبل هوسرل وبشكلٍ موازٍ له لدى مجموعةٍ واسعةٍ من الفلاسفة الآخرين في التراث الأوروبي .

هذا النوع من الوصف يتعلق ببنية الوعي الداخلي .ولذا، يتضح هذا التداخل عند مارتن هايدغر، الذي كان في وقت من الأوقات باحثًا مساعدًا في الدراسات العليا يعمل مع هوسرل .ثم في فكره، يتشارك هايدغر مع هوسرل في بعض الجوانب.

وبالمثل، هناك أشخاص مثل سارتر .لذا فإن سارتر، الذي ستقرأون عنه الأسبوع المقبل، يمثل هذا المنهج الظاهراتي الأكثر دقة فلسفيًا بطريقة وجودية .والآن، من المناسب أن نُطلق على كيركغارد ونيتشه لقب مفكرين وجوديين.

وجودي .نعم .من المناسب أن نطلق على هذين الشخصين اسم الوجوديين.

لكن غالباً ما يتم تمييزهم عن غيرهم بوصفهم وجوديين ظاهراتيين، وذلك بفضل الظاهراتية .أي أن منهجهم هو نوع من الظاهراتية الوجودية.

فينومينولوجيا الوجود الإنساني .في الأبعاد الوجودية للوجود الإنساني .لكن هذا ليس ما طُوِّرت فينومينولوجيا هوسرل لتحقيقه.

كان هوسرل أكثر اهتمامًا بفينومينولوجيا الأنا المتعالية .ولذا يُشار إلى عمله الأصلي بالفينومينولوجيا المتعالية لتمييزه عن الفينومينولوجيا الوجودية .ولا يجوز بأي حال من الأحوال الحديث عن هوسرل والوجودية بشكل عام.

ستفشل إن فعلت ذلك .ما يفعله هو تطوير منهج .والآن، هناك كتّاب أوروبيون آخرون يظهرون في هذا .المجال

،أعتقد أيضاً أنهم متأثرون أكثر بهوسرل في بداياته .ومن بينهم، أذكر الفيلسوف الفرنسي موريس ميرلو بونتي .والفيلسوف الفرنسي بول ريكور، الذي يُعدّ على الأرجح أعظم فيلسوف فرنسي حيّ اليوم

.لا يزال على قيد الحياة، وقد تقاعد .درّس في جامعة شيكاغو لمدة ستة أشهر خلال السنوات القليلة الماضية .ويُدرّس أحيانًا في جامعة مونتريال

لكنه لا يزال يُدرّس نصف عام في سورابات .أعتقد أنه تقاعد الآن .بالمناسبة، قبل حوالي عشرين عامًا، كان .المتحدث الرئيسي في مؤتمرنا الفلسفي

.عندما كان يُدرّس في مونتريال .هو بروتستانتي فرنسي يتبع التقاليد الإصلاحية الفرنسية .بول ريكور

والآن، ثمة اسم آخر تأثر بشكل كبير بهوسرل في بداياته، وهو هانز-جورج غادامير .من هو الشخصية المحورية حقًا؟ لا يشبه غادامير كثيرًا، أليس كذلك؟ من هو الشخصية الأبرز في تطور ما نسميه التأويلية الظاهراتية؟

لأن هذا النوع من التأويل يتناول الشبكات الذاتية والتأثيرات التي تتداخل في عملية التفسير .أترى ؟ إن .الحديث عن ذلك يستلزم دراسة ظاهرة كيفية عمل الذاتية في التفسير .وقد برع غادامير في ذلك

ويُعطى هذا الجانب الذاتي دوراً مفرطاً لدى التفكيكيين مثل بول دي مان .لكن غادامير هو الشخصية .الفلسفية المحورية في تطور هذا المنهج التأويلي الحديث

بالمناسبة، لمن يهتمون باللاهوت، أود أن أوضح أن مصطلح "التأويل "يُستخدم على نطاق أوسع بكثير من .مجرد اللاهوت، فهو يعني التفسير .لذا يُستخدم أيضاً في سياق العلوم

.فيما يتعلق بالعلوم الاجتماعية، يُستخدم هذا المصطلح في تفسير المواقف وتفسير الأفعال البشرية

.يُستخدم في التاريخ .يُستخدم في الأدب .وفي كل شيء آخر

.يُستخدم هذا المصطلح عند قراءة نص فلسفي .وهكذا دواليك

.الآن، ما نريد فعله أولاً هو توضيح المنهج الظاهراتي .سنبدأ بذلك اليوم .أريد توضيح ذلك

أودّ أن أتحدث قليلاً عن كيفية تعامل هايدغر مع هذا المنهج .ثم، وبشكلٍ أوسع، سأتطرق إلى سارتر، لأنكم تقرؤون سارتر، كمثالٍ على هذا المنهج الظاهراتي .وبعد ذلك، أودّ أن أتحدث قليلاً عن التقاليد التأويلية، ولا .سيما غادامير

،حسنًا، هذا هو جدول أعمالنا حتى نهاية الأسبوع المقبل .الآن، ما هي الفينومينولوجيا؟ وهي، كمنهج فلسفي .تهيمن على الفلسفة الأوروبية .وفي هذا البلد، تهيمن على الفلسفة الكاثوليكية الرومانية

ربما يعود ذلك إلى قصة أشبه بقصص التجسس والخداع .تتلخص القصة في أنه في الأيام الأولى للحرب العالمية الثانية، أو ربما قبلها بقليل، وصل خبر وفاة هوسرل إلى طلابه السابقين، وأن النازيين يعتزمون

مصادرة جميع كتاباته وتدميرها بسبب أصوله اليهودية .لذا، وفي جنح الظلام، قام كاهن كاثوليكي، كان أحد هؤلاء الطلاب، بإخفاء جميع أوراق هوسرل في صندوق سيارته، وانطلق مسرعًا عبر الحدود البلجيكية إلى .جامعة لوفان الكاثوليكية، حيث دفن أرشيف هوسرل

تُعدّ جامعة لوفان اليوم من أبرز الجامعات الكاثوليكية في أوروبا، ولها تأثير بالغ .في عام ١٨٧٨، أصدر البابا " رسالة بابوية في ضوء التطورات الدينية والاجتماعية والفلسفية التي شهدها القرن التاسع عشر، وهي رسالة يدعو فيها إلى العودة إلى التراث الفلسفي واللاهوتي لتوما الأكويني .ويُمثّل ،(Aeterni Patris) " الآب الأزلي .هذا بداية الحركة التوماوية الجديدة التي استمرت حتى القرن العشرين

سارعت جامعة لوفان إلى تبني هذه الفكرة، وانضمت إلى الركب، لتصبح مركزًا لدراسات الفلسفة التوماوية الجديدة في أوروبا .وقد كتب الكاردينال الفرنسي ميرسييه، المقيم هناك، بحماسٍ في هذا السياق، مؤكدًا أن ،التوماوية هي الفلسفة المسيحية السائدة آنذاك .وحتى يومنا هذا، بالمناسبة، فإن بعض الفلاسفة الكاثوليك .إذا ذكرتَ لهم عبارة "الفلسفة المسيحية"، سيفكرون في توما الأكويني

أتذكر عندما تأسست جمعية الفلاسفة المسيحيين قبل نحو عشر أو اثنتي عشرة سنة، كنا نناقش اسم الجمعية .كان الاقتراح الأولي هو تسميتها جمعية الفلسفة المسيحية .ثم اتضح أن أصدقاءنا الكاثوليك في .المجموعة كانوا يعتبرون الفلسفة المسيحية هي التوماوية

كنتُ معتادًا على استخدام مصطلح "الفلسفة المسيحية "للإشارة إلى تقليد تعددي في ممارسة الفلسفة من منظور مسيحي، ثمّ اتضح الغموض .لذلك أطلقنا عليها اسم "جمعية الفلاسفة المسيحيين"، وبذلك زال الغموض .على أي حال، في عام ١٩٤٥ أو ١٩٤٦، أظنّ أن لوفان استيقظت لتجد أن أرشيف هوسرل قد غيّر .هويته الفلسفية

وأصبحت مركزًا للدراسات الظاهراتية .وازداد توجه الكاثوليك الذين ما زالوا يرتادونها نحو هذا المنهج .ومن .بينهم، بالمناسبة، البابا الحالي الذي عاد إلى بولندا، ونشر بالفعل دراسات ظاهراتية خاصة به

إذن، قصة تجسس وخداع .حسناً، ليست تجسساً بالمعنى الحرفي .نعم، تجسس، لكن ليس خداعاً بالمعنى .الحرفي

.حسنًا، بخصوص تلك القصة .إذن، التأثير هناك .الظاهراتية ليست نظرية

.أؤكد على ذلك مجدداً .إنه ليس نظاماً فكرياً .إنه ليس موقفاً فلسفياً

.إنها طريقة .مشروع .والوصف الظاهراتي، كما قلت، يعود إلى هيجل

وبشكل غير رسمي ، لدى أشخاص مثل ياسبرز .وبعض الكتاب الوجوديين الآخرين الذين ذكرتهم، مثل .مارسيل وبوبر وغيرهم .لكن المنهج في حد ذاته صاغه هوسرل

على الأقل، صاغ هوسرل، الذي توفي عام 1938، منهجاً أكثر تخصصاً .والآن، لدى هوسرل ثلاثة اهتمامات .رئيسية .أحدها ما يعتبره فشلاً للفلسفة الطبيعية

.فشل المذهب الطبيعي الفلسفي .الآن، هو يستخدم المذهب الطبيعي بمعنى التفسيرات العلمية البحتة .تفسيرات للأشياء

إذن، فيما يتعلق بمحاولة إيجاد أسس المنطق، نعم، على أي أساس تستند قوانين المنطق؟ أو أسس الرياضيات، وهو أمر مشابه إلى حد كبير .أو أسس العلوم الطبيعية.

كما ترى، فإن كل ذلك ينطوي على افتراضات مسبقة حول المعرفة والحقيقة الإنسانية .وفي محاولة لتوفير هذه الأسس للرياضيات والعلوم الطبيعية والمنطق، لم يفعل الفيزيائي الطبيعي سوى القول بأنها جميعًا ناتجة عن عمليات غير عقلانية .تفسيرات نفسية من حيث عمليات نفسية معينة، والتي تؤدي إلى تحديد هذا وذاك وغيره.

إذا شئت، فإن نيتشه يقدم تفسيراً نفسياً .وكذلك فرويد .أو تفسيرات تاريخية.

هكذا جرت الأمور تاريخياً .أو تفسيرات اجتماعية .تأثيرات ثقافية.

إذن، ينتقد هوسرل النزعة النفسية ، والنزعة التاريخية، والنزعة الاجتماعية.

العلموية .والآن، دعونا نتناول هذه المذاهب .الادعاء بأن كل شيء يمكن تفسيره من خلال تلك الأساليب العلمية.

بما في ذلك أسس المنطق والرياضيات والعلوم وكل ما يتعلمه الإنسان .هذا ما عارضه هوسرل .إنه يريد أسساً أكثر صلابة.

حتى يمكن تأسيس المنطق والرياضيات والفلسفة على أسس لا تقبل الشك .بعبارة أخرى، هو يريد أساسًا جديدًا .يريد أساسًا جديدًا.

وفكرته هي أن المنهج الظاهراتي يمكن أن يعيدنا إلى تلك الأسس .إنها متأصلة في بنية الطبيعة البشرية، وفي بنية الوعي.

بالمناسبة، استضفنا العام الماضي دالاس ويلارد من جامعة جنوب كاليفورنيا .هل استمعتم إليه؟ ألقى سلسلة من المحاضرات ينتقد فيها ما بعد الحداثة، وينتقد فيها أيضاً اللاواقعية السائدة آنذاك.

ويلارد متخصص في فلسفة هوسرل، وقد استندت حجته إلى المنهج الظاهراتي لمعارضة ما بعد الحداثة واللاواقعية السائدة آنذاك .بعبارة أخرى، كان يسعى إلى إثبات أن الوصف الظاهراتي يُمكن أن يُتيح فهمًا كافيًا لبعض بنى الوعي.

لتجنب الشك، والنسبية التي ينطوي عليها هذا المنظور غير الواقعي .سأعود إلى هذا لاحقًا .أما القلق الثاني الذي يساوره بشأن المذهب الطبيعي فهو أنه يُكرّس ثنائية الذات والموضوع.

يُرسّخ هذا المنهج ثنائية الذات والموضوع لأنه يسعى إلى الحديث ببساطة عن الأمور الموضوعية، كالأسباب التاريخية، والعمليات النفسية الموضوعية، والعمليات الاجتماعية .وهو لا يهتم إلا بالتفسيرات الموضوعية التي تستبعد دور الذات الإنسانية.

لذا، ثمة ضياعٌ لإبداع المساهمة البنّاءة للروح الإنسانية .بمعنى آخر، تجاوز المذهب الطبيعي الثورة الكانطية الكوبرنيكية .لذلك، يسعى هوسرل إلى تأسيسية جديدة تُقرّ بالثورة الكانطية الكوبرنيكية.

يجب أن يكون علمًا للأنشطة الإبداعية والبنائية للروح الإنسانية في تنظيم التجربة .ولهذا السبب، يجب أن يكون فينومينولوجيا للأنا المتعالية ، تلك الأنا التي تتجاوز كل تفاصيل التجربة الملموسة.

ذلك الأنا الذي يُمثّل، عند كانط، الكيان الذي يمتلك الأشكال والمقولات مُنظّمة بدقة في وحدة إدراكية متعالية .إنه يُريد أن يُمعن النظر في هذا النوع من الأمور .حسنًا، في المرة القادمة سنُحاول أن نُبيّن كيف يفعل ذلك.